الجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عبد الرحمان ميرة – بجاية

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة العربية وآدابها

الشكل والمضمون عند الجاحظ
دراسة بلاغية

مذكّرة مقدّمة لِاستكمال شهادة الماستر في اللغة العربية وآدابها

تخصّص لسانيات عربية

إعداد الطالبتين:

سوالمي إبتسام

إيزم كاتية

إشراف الأستاذة:

لعمري آسيا

السنة الجامعية

2023 /2022

اللهمّ علّمنا ما
ينفعنا وانفعنا بما
علّمتنا وزدنا علمًا،
اللهمّ إنّا نعوذ بك من
علم لا ينفع، ومن
قلب لا يخشع، ومن
عين لا تدمع

شكر وتقدير

قال قائل: "إذا عجزت يداك عن المكافأة، فلا يعجز لسانك عن الشكر"

نشكر أوّلًا المولى ﷻ ونحمده على توفيقه لنا في إنهاء هذه المذكّرة.

ثمّ نتوجّه بالشكر الجزيل إلى أستاذتنا "**لعمري آسيا**" على كلّ ما قدّمته لنا من معلومات قيّمة ومراجع مهمّة ساهمت في إثراء موضوع هذه الدراسة.

إلى الذين مهّدوا لنا سبيل البحث وحفّزونا على جني المعرفة والتطور

إلى الذين أنارروا لنا طريق العلم وعلّمونا أبجدية الصبر على إتقان العمل

إلى السيد رئيس القسم "**عالم موسى**" وإلى كلّ أساتذة قسم اللغة العربية وآدابها

إلى موظّفي المركز الجامعي، ونخصّ بالذكر عمّال مكتبة جامعة عبد الرحمان ميرة أبوداو بجاية

إلى كلّ من جاد علينا ولو بنصيحة أو كلمة سواء من قريب أو من بعيد

إلى أعضاء لجنة المناقشة؛ لِاطّلاعهم على هذه المذكّرة وإعطائنا من وقتهم القيّم

إهداء

قال سبحانه وتعالى: ﴿**وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا**﴾ **الإسراء-24-**

لك الحمد ربي على عظيم لطفك وكثير عطائك، إنّه لا يسعني في هذه اللحظات -التي لعلّني لا أملك أغلى منها- أن أُهدي هذا العمل المتواضع أوّلًا وقبل كلّ شيء إلى من أضاءت لي النور في الليالي السوداء وزرعت فيّ الأمل

إلى التي كان دعاؤها سرّ نجاحي

إلى أغلى الحبايب أمّي الغالية أطال الله في عمرها

إلى من علّمني العطاء بدون اِنتظار إلى من أحمل اِسمه بكلّ اِفتخار

أرجو من الله أن يمدّه العمر الطويل والدِي العزيز

أُهدي هذه الثمرة إلى من تجمعني بهم روح واحدة اِخوتي:

"لامية"، "حاني"، "يان"

إلى زميلتي الغالية التي سهرت معي واِجتهدت في سبيل تَكْمِلَة المشروع "سوالمي إبتسام"

إلى أستاذتنا "لعمري آسيا" التي لم تبخل علينا بالمساعدة والنصح طوال فترة الإشراف على مذكّرتنا هذه

كاتية

إهداء

إلى الذين قال الله ﷻ فيهما:

﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ الإسراء-23-

إلى التي ربّتني وسهرت الليالي من أجل رعايتي، وزرعت في قلبي الحبّ والأمان، إلى أمّي الغالية...

إلى الذي علّمني معنى الحياة، وساعدني لأتذوّق طعم النجاح

إلى الذي أنهكَ صحّته كي يُحيي فينا الحياة، إلى أبي الغالي...

إلى إخواني "ياسر" و"فايز"...

إلى حبيبتي وأختي العزيزة "جميلة"

إلى جدّتي الحبيبة وجدّي العزيز أطال الله في عمرهما...

إلى كلّ أفراد عائلتي كبيرًا وصغيرًا

إلى شريكتي في هذا العمل وصديقتي العزيزة "كاتية"

إلى أستاذتنا المشرفة "لعمري آسيا" التي ساعدتنا في إنجاز هذا البحث من البداية إلى النهاية والتي لم تبخل علينا بأيّ معلومة..

إلى حبيبات القلب ورفيقات الدرب صديقاتي كلّ واحدة بِاسمها

إلى كلّ من دعمنا في هذا العمل

إبتسام

مقدّمة

أدرك الإنسان منذ زمن بعيد أنّه لا يستطيع فهم الآخرين وإيصال ما يدور في رأسه إلّا بالتكامل بين الشكل والمضمون الذي يريد التعبير عنه، وقد تطوّر هذا الإدراك شيئًا فشيئًا، حتى أصبح الكلام نظمًا.

أثار هذا الموضوع اِهتمام اللغويين لكشف أسرار اللغة وتفسير العلاقات والربط بين أجزائها، فكانت هذه القضيّة من القضايا المهمّة التي اِنشغل بها النقّاد القدامى والمحدثين، فنشأ الجدل بينهم في تحديد الشكل والمضمون الذي يعطي قيمة للنصّ البلاغي.

وقد كان للإعجاز القرآني أثرًا بالغًا في تحفيز الدارسين والبحث في مكامن إعجازه، في الشكل كان أم في المضمون، وقد ربط الفكر النقدي والبلاغي بمضامين القرآن وشكله الذي اِختلف الإرث الشعري الجاهلي في شكله وفي مضمونه، فالقرآن الكريم كان ولا يزال معجزة الإسلام الخالدة الذي اِنبثقت منه كلّ العلوم اللغوية والبلاغية، فبفضله اِتّسعت التصوّرات واِنفجرت العلوم الهادفة لخدمته واِستكشاف تشريعاته ومعانيه وأساليبه، فكان الصراع في أيّ منهما يكمن الإعجاز في الشكل وتأليفه أم في المضمون ودلالته؟

اِستوجب موضوع بحثنا الموسوم "الشكل والمضمون عند "الجاحظ" دراسة بلاغية" طرح إشكالية اِختلاف البحث في قضيّة الشكل والمضمون عند البلاغيين عامّة، وكيف تفرّد "الجاحظ بآرائه النقدية في مسألة الشكل والمضمون، وللإجابة عن هذه الإشكالية؛ لا بدّ من الإجابة عن بعض الأسئلة المهمّة.

- ماذا نعني بقضيّة الشكل والمضمون؟
- فيم تتمثّل آراء النقّاد العرب قديمًا وحديثًا؟
- ما طبيعة العلاقة التي تربط الشكل بالمضمون؟
- ما موقف الجاحظ من قضيّة الشكل والمضمون؟

وذلك أوجب علينا اِتّباع منهج بلاغي وصفي تحليلي لعرض آراء النقّاد العرب القدامى والمحدثين حول قضيّة الشكل والمضمون.

وكان الدافع إلى اختيار هذا الموضوع هو اِهتمامنا بالقضايا البلاغية التي حاولت معرفة أسرار الإعجاز القرآني في الدرس البلاغي.

وخطّة بحثنا قسّمناها إلى مقدّمة وفصلين؛ الأوّل نظري والثاني تطبيقي وخاتمة؛ الفصل الأوّل بعنوان "الشكل والمضمون عند النقاد العرب"؛ تناولنا فيه أوّلًا قضيّة الشكل والمضمون، ثمّ عرضنا آراء النقّاد القدامى والمحدثين في هذه القضية، ثمّ بيّننا العلاقة الموجودة بين الطرفين.

أمّا الفصل الثاني فجاء بعنوان "قضية الشكل والمضمون عند الجاحظ"؛ تناولنا فيه موقف "الجاحظ" من هذه القضية.

اِعتمدنا في إنجاز بحثنا هذا على مجموعة من المراجع المهمّة، منها: (البيان والتبيين) و(الحيوان).

وختمنا بحثنا بجملة من النتائج التي كانت ثمرة تحليل ونظرة موضوعية إلى هذه القضيّة المهمّة في الدرس البلاغي العربي.

أمّا الصعوبات التي أعاقت سبيلنا في هذا البحث فتكمن في صعوبة التحكّم في الموضوع نظرًا لكون المراجع التي تناولت الموضوع كلّها مصادر لغتها وأساليبها تفوق مستوانا كطلّاب، بالإضافة إلى ضيق الوقت.

وفي الأخير نتمنّى أن يكون بحثنا هذا قد وفّق في دراسة هذه القضية، فإن بلغ الغاية، فذلك الهدف المنشود، وإن لم يبلغ فيكفي أن تمّت فيه المحاولة والاِجتهاد.

ورغم كلّ هذا إلّا أنّ بحثنا تمّ بفضل الله، فنحمده حمدًا على توفيقه لنا، كما نتقدّم بالشكر والعرفان إلى الأستاذة المشرفة "لعمري آسيا" وكلّ من ساهم في إنجاز هذه المذكّرة.

الفصل الأوّل

الشكل والمضمون عند النّقـاد العرب

خطّة الفصل الأوّل

1. قضية الشكل والمضمون

   أ. الشكل

   ب. المضمون

2. الشكل والمضمون عند النّقاد العرب قديمًا

   - الجاحظ
   - ابن قتيبة
   - ابن طباطبا
   - قدامة بن جعفر
   - أبو هلال العسكري
   - عبد القاهر الجرجاني

3. الشكل والمضمون عند النّقاد العرب حديثًا

   - شوقي ضيف
   - محمد مندور
   - ميخائيل نعيمة

4. طبيعة الفصل بين الشكل والمضمون

5. علاقة الشكل بالمضمون

تمهيد:

كانت اللغة أولى قضايا العلم التي بحث عنها الإنسان، لأنّها وسيلة تواصل بين المجتمع، أين توصّلوا إلى أنّها وحدة لغوية تتكوّن من جانبين هما الشكل والمضمون، إذ كان محور اِهتمام النقّاد العرب قديمًا وحديثًا، نظرًا للعملية التي تكون بين المتكلّم والمتلقّي، مشكّلين عملية تبادلية في التأثير والتأثّر.

نظرًا لأهمية هذين الجانبين (الشكل والمضمون)؛ سنسعى إلى توضيح رأي النقّاد القدامى والمحدثين حول قضية الشكل والمضمون، وذلك بإبراز العلاقة التي تجمع هذين الأخيرين، وهذا بالاِستعانة بالدراسات السابقة.

1. قضية الشكل والمضمون:

ساد تأثير النظرة المنطقية للغة على كثير من الدراسات البلاغية والنقدية عند العرب، فالمتكلّمون أصحاب الفلسفة والجمل والمنطق صلتهم بالبلاغة وثيقة كما تعرف من تاريخها، كان المتحدّثون جادون في دراسة القرآن الكريم وفهْم ما يحتويه من ألوان التشبيه والمجاز، قادهم هذا الجدل إلى التعبير في الأداء اللفظي والبحث في القضايا البلاغية.

إنّ مسألة الشكل والمضمون من اِهتمام النقّاد والعلماء والباحثين بالحقيقة منذ أن بدأ الإنسان يغوص في لغته الأدبية، التي يعبّر بها عن مشاعره النفسية وانعكاساته على الكون والحياة، لمعرفة سرّ جمال ما في هذه اللغة ومكانة الرقي والروعة في أدبها.

لا نعتقد أنّ أيّ فترة من الحياة الأدبية للإنسان كانت خالية من التعامل مع هذه القضية بشكلٍ أو بآخر، حيث بدأ يتعامل معها بالرسم الإرشادي والكلمة الإيحائية الموجزة، ثمّ أصبح تأمّل داعيًا وتفكيرًا منطقيًا، ولم تسلم القضايا الأدبية الكبرى من المغالطة أحيانًا، لعلّها أصبحت عبارة غامضة تحتاج إلى شرح طويل، وهكذا اِنتهى بها الأمر في كتب البلاغة بقوانين وحدود[1].

اِشتهرت جملة "الخطيب القزويني" في كتابه (ملخص المفتاح)، وهي تتعدّى كلمات قليلة المعروفة في مقدّمته بالفصاحة والبلاغة، لقوله: "فالبلاغة صفة راجعة إلى الشكل باعتبار إفادته بالمضمون في التركيب"[2].

قد يبدوا تجزيئ الشكل والمضمون في بداية النظر صغيرًا مع آفاق محدودة، لكن من يستمتع بالنظر إليها يجد أطرافها شاسعة وبعيدة الآفاق، وكان الحقل الذي فيه العرب كان النقد العربي مضطربًا تتأمّل في النصّ الأدبي، وتصدر حكمها على صفة في صياغتها أو صفة في معناها، ولم تتردّد في مجال النقد والتعبير عن الخيال والعاطفة والظلال في وقت متأخّر.

نشأت قضية الشكل والمضمون في بيئة دينية لها صلة قوية بالإعجاز القرآني، لأنّ الدارسين حاولوا الكشف عن سرّ الإعجاز في بداية البحث عن سرّ الإعجاز القرآني واِهتمّوا بمسألة الشكل والمضمون، وبقي اِرتباط هذه المسألة بالإعجاز القرآني إلى وقت لاحق، كما تدلّ كلمة "الإمام عبد القاهر الجرجاني" المختصرة، والتي لخّصت القول بأنّ ميزة حسن النظم والتأليف كانت للعرب، من الناحية العلمية للغة كانت خطأ مقيت[3]، إنّه يعلم أنّ القول بأنّ البلاغة كلام ليس إلّا من جانب واحد من معناه خطأ كبير[4].

---

[1] - محمد القزويني، تلخيص المفتاح، مكتبة البشري، ط1، 1431هـ_2010، ص10.

[2]- المصدر نفسه، ص10.

[3]- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1413هـ/1992م، ص191.

[4]- المصدر نفسه، ص198.

إنّ الحديث عن أهمية الشكل والمضمون كأهمّ قضايا النقد والبلاغة يتكرّر في مواقع مختلفة، حيث أنّها قضيّة واحدة من الموضوعات التي يكثر الحديث فيها، وقد أولى لها النقّاد والبلاغيون عناية خاصّة وإختلفت في أيّهم أفضل، حيث إنقسموا إلى ثلاثة أقسام:

أ. قسم إهتمّ بالشكل

ب. قسم إهتمّ بالمضمون

ت. قسم إهتمّ بهما معًا (الشكل والمضمون)

قيل عن الشكل أنّه التأليف والترتيب؛ أي الصياغة بما في ذلك الشكل والمضمون، والمضمون الذي تستند إليه الصورة أو القصيدة، ووصف "الجاحظ" العلاقة بينهما مثل العلاقة بين الجواري والمعارض، وهذا التصوّر لإستقلال كلّ منهما عن الآخر لا يتّفق مع الشكل، لأن الكلمة في أصلها رمز للمضمون ولا يمكن الفصل بينهما، إذ لا يمكن للنقّاد أن يقصدوا شكل مفرد عندما يتعمّقون في مسألة الشكل والمضمون، بل يقصد التعبير عندهم الجمع بين لفظي التركيب في جملة مفيدة، والمضمون هو ما تدلّ عليه العبارة، وبما أنّ مجال بحث البلاغيين منذ القديم كان هو العبارة، فإنّ كلّ ما يقال عن الشكل والمضمون يتحوّل إليهم[1].

إنّ الهدف من دراسة قضية الشكل والمضمون ليست فقط جردًا لأقوال العلماء والنقّاد، بقدر ما هو إطّلاع على الفكر العربي القديم، ذلك من أجل إذكاء الوعي الثقافي، وتكمن أهميتها في هذا الدور بالذات، فقد ربط إهتمام البلاغيون بمسألة الشكل والمضمون، إذ لا يذكروها بهذه التسمية، وإنّما ربطوها تداوليًا بتسمية اللفظ والمعنى.

[1]– محمد زغلول سلام، تاريخ النقد الأدبي والبلاغة، منشأة المعارف، الإسكندرية، ط2، ، 1982م، ص67.

أ. الشكل:

حصر "السيوطي" الشكل في المنطوق والملفوظ، إذ تبيّن ذلك من خلال: "ما خرج من الفمّ إن لم يشتمل على حرفٍ فصوْت، وإن اِشتمل على حرف ولم يُفِد معنى فقوْل، فإن كان مفردًا فكلمة، أو مركّبًا من اِثنين ولم يفِد نسبة مقصودة لذاتها فجملة، أو أفاد ذلك فكلام، أو من ثلاثة فكلِم"[1]، وقد ربط "أبو البقاء الكفوي" مسألة الشكل بكلّ ما خرج من مصدر الفمّ "هو في اللغة مصدر بمعنى الرمي وهو بمعنى المفعول، فيتناول ما لم يكن صوتًا وما هو حرف واحد وأكثر مهمَلًا أو مستعملًا، صادرًا من الفمّ أوّلًا لكن خصّ في عرف اللغة بما صدر من الفم من الصوت المعتمد على المخرج حرفًا واحدًا أو أكثر مهملًا أو مستعملًا، فلا يقال لفظ الله بل يقال كلمة الله، وفي اِصطلاح النحاة ما من شأنه أن يصدر من الفم من الحرف، واحدًا أو أكثر أو تجري عليه أحكامه كالعطف والإبدال، فيندرج فيه حينئذٍ كلمات الله، وكذا الضمائر التي يجب اِستثارتها[2].

نلاحظ من خلال هذه التعريفات أنّها تتّفق في مفهوم عامّ ثابت للشكل وهو اِنحصاره في المنطوق أو الملفوظ، كما أنّ مصطلح الشكل يتّصل بمصطلحات الشكل يتّصل بمصطلحات أخرى تحيط به وهي: القول والكلم والجملة والكلام والكلمة.

[1]- جلال الدين السيوطي، الأشباه والنظائر في النحو، تح: عبد الله العال سالم مكرم، مؤسّسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 1985م، ج3، ص5.

[2]- أبو البقاء الكفوي، الكليات، تح: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسّسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط2، 1993، ص795.

ب. المضمون:

تتجسّد المضامين في المعاني، فقد ربط "الشريف الجرجاني" الصورة الذهنية بالمضمون، "من حيث أنّه وضع بإزائها الألفاظ والصور الحاصلة في العقل، فمن حيث إنّه مقول في جواب ما هو: سميت: ماهية ومن حيث ثبوته في الخارج، سميت: حقيقة، ومن حيث اِمتيازه عن الأغيار سميت هوية"[1]، فمن خلال هذا التعريف يتبيّن لنا أنّ المضمون هو الذي يستقرّ عليه القلب، ويطمئنّ إليه عند إرادة الشكل.

أمّا عند "أولمان" فالمضمون حسبه "تلك العلاقة بين اللفظ والمدلول التي تكمن في اِستدعاء كلّ أحدهما على الآخر"[2]، فـ "بلومفيلد" "يجمع المضمون بالحوادث السياق للكلام والتالية له"[3]، وعليه نفهم أنّ المضمون هو اِرتباط متبادل بين الكلة والفكرة، فأيّ تغيير يحدث للشكل أو الكلمة يؤدّي بالضرورة إلى تغيّر في المضمون.

يتبيّن لنا ممّا سبق لمفهومي الشكل والمضمون أنّ الشكل هو طرح كلمة عن طريق القول لتدلّ على شيء معيّن، وأنّ الشكل له دور كبير في المضمون، وإعطائه رونقًا وبهجةً داخل سياق الكلام، أمّا المضمون فيقصد به الإبراز، وظهور الشيء الوارد والبحث عنه، فالمضمون يعطي للكلام اِستقرار إذ يختلف هذا الأخير بين كلّ فرد من الناس، لأنّه لا يمكن أن نجد اِثنان يأتيان بكلام يستقرّان عليه من الناحية المعنوية تمامًا، فالمضمون هو أساس وجود الشكل فكلاهما مكمّل للآخر.

[1]- الشريف الجرجاني، التعريفات، تح: محمد علي أوب العباس، مكتبة القرآن عابدين، القاهرة، مصر، د.ت، ص185.

[2]- فريد عوض حيدر، علم الدلالة دراسة نقدية وتطبيقية، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، 2005، ص19.

[3]- المرجع نفسه، ص19.

2. الشكل والمضمون عند النقّاد العرب قديمًا:

تعدّ قضية الشكل والمضمون من أهمّ إنجازات النقد العربي القديم التي تشغل بها مجموعة من النقّاد والبلاغيين منذ أمد بعيد، حيث مرّت عبر مراحل مختلفة بداية من دراسات ومحاولات فردية بسيطة، وذلك نشب حولها إختلاف لوجهات النظر بين من ينتصر للشكل، وهناك من فضّل المضمون، وبين رأي ثالث على مذهب الوسط محاوِلًا التوفيق بين الرأي الأوّل والرأي الثاني، وهذه الإعتبارات المختلفة جعلت الدارسين يعنون بقضية الشكل والمضمون في النقد العربي القديم، إلى أن وصلت إلى مرحلة النضج والإرتقاء أين تمّ جمع هذه الجهود الفردية في شكل نظرية مكتملة.

من أبرز نقّاد العرب القدامى الذين إهتمّوا بمسألة الشكل والمضمون "الجاحظ" (255هـ)، حيث رفع من شأن الشكل وجعله أساس الإبداع لقوله: "ذهب الشيخ إلى إستحسان المعنى، والمعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي والبدوي والقروي، وإنّما الشأن في إقامة الوزن وتخيّر اللفظ، وسهولة المخرج، وفي صحّة الطبع، وجودة السبك، فإنّما الشعر صناعة وضرب من النسيج وجنس من التصوير"[1]، وتكشف العبارة تحيّز "الجاحظ" للشكل رغم أنّه كان يعتبر من الذين عرفوا آدابهم في زمانه بقيمة المضامين فيعتبرها عامّة، أمّا المفاضلة عنده فتكمن في الشكل.

تجلّت مجهودات "الجاحظ" التخصصية في البلاغة والنقد من خلال كتابه (البيان والتبيين) حيث يطلق حكمه النقدي المشهور بأنّ ""المعاني القائمة في صدور الناس المتصوّرة في أذهانهم والمختلجة في نفوسهم والمتّصلة بخواطرهم، والحادثة عن فكرهم، مستورة خفيّة بعيدة وحشية، محبوبة مكنونة موجودة في المعنى معدومة، ويعرف الإنسان ضمير صاحبه، ولا حاجة أخيه وخليطه، ولا معنى شريكه والمعاون له على أموره، وعلى ما

[1]– أبو عثمان بن بحر الجاحظ، الحيوان، تح: عبد السلام محمد هارون، ج3، شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط2، 1385هـ_1965، ص131.

يبلغه من حاجات نفسية إلّا بغيره، وإنّما يوحي تلك المعاني ذكره لها وإخبارهم عنها وإستعمالهم إيّاها"[1]، وفي قوله أيضًا "وهذه الخصال هي التي تقرّبها من الفم، وتجلّها للعقل وتجعل الخفيّ منها ظاهرًا، والغائب شاهدًا، والبعيد قريبًا، وهي التي تلخّص الملتبس وتحلّ المنعقد، وتجعل المهمل مقيّدًا، والمقيّد مطلقًا، والمجهول معروفًا، والوحشيّ مألوفًا، والغفل موسومًا، والموسوم معلومًا، وعلى قدر وضوح الدلالة وصواب الإشارة وحسن الإختصار ودقّة المدخل يكون إظهار المعنى"[2]، وفي قوله أيضًا "حكم المعاني خلاف حكم الألفاظ، لأنّ المعاني مبسوطة إلى غير غاية، وممتدّة إلى غير نهاية، وأسماء المعاني مقصورة معدودة ومحصّلة محدودة"[3]؛ فالجاحظ في هذا القول ينتصر إلى الشكل على حساب المضمون، لكنّه لا يؤخّر قيمة المضمون أبدًا، "فكلّما كانت الدلالة أوضح وأفصح، وكانت الإشارة أبين وأنور، كانت أنفع وأنجح، والدلالة الظاهرة على المعنى الخفيّ"[4]، هو البيان الذي سمعت الله عزّ وجلّ يمدحه، ويدعوا إليه ويحثّ عليه، بذلك نَطَق القرآن، وبذلك تفاخرت العرب وتفاضلت أصناف العجم"[5].

نلاحظ ممّا سبق من خلال أقوال "الجاحظ" المتعدّدة والمتفرّقة في كتبه على أنّه لا ينتصر للشكل على المضمون، ولا المضمون على الشكل، وإنّما ينظر إليهما متحدّين متكاملين، فلا عمل لأحدهما منفردًا.

---

[1] - أبو عثمان بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، تح: عبد السلام محمد هارون، ص75.

[2] – المصدر نفسه، ص75.

[3] – المصدر نفسه، ص76.

[4] – المصدر نفسه، ص76.

[5] – المصدر نفسه، ص75.

ومن الذين أيّدوا فكرة "الجاحظ" في موقفه "اِبن قتيبة" (276هـ)، الذي شغل نفسه في مسألة تقسيم الشعر إلى أربعة أضرب، ليؤيّد اِقترابه لقضية الشكل والمضمون، فكان قد قسّم الشعر العربي إلى أربعة أقسام، وميّز بينهما معتمدًا على ثنائية الشكل والمضمون[1]، حيث نجد ما يلي:

- ✓ لفظ جيّد ومعنى جيّد.
- ✓ لفظ جيّد ومعنى رديء.
- ✓ لفظ رديء ومعنى جيّد.
- ✓ لفظ رديء ومعنى رديء.

فمن خلال هذا التفسير لم يقدر "اِبن قتيبة" أن يحدّد موقفه، فذهب إلى القول: "إنّ البلاغة تكون في المعاني كما تكون في الألفاظ"[2]، يتبيّن من خلال هذا القول أنّ "اِبن قتيبة" قد حاول أن يكون أقلّ حدّة في رؤيته لهذه المسألة من "الجاحظ"، ولعلّ نظرته هذه "لم تتناول العمل الأدبي كلّه بحيث تتطوّر إلى ما نسمّيه الشكل والمضمون، ولا هي اِستطاعت أن تقترب ممّا قد يسمّى الصلة الداخلية بين هذين، ولعلّه كانت ذات أثر بعيد في صرف النقد عن تبيين وحدة الأثر والفنّ في مبناه الكلّي، غير أنّها رغم ذلك أسلم من الاِنحياز السافر إلى جانب اللفظ"[3]، ومنه فـ "اِبن قتيبة" ممّن ينحاز للشكل على حساب المضمون، حيث يرى أنّ لكليهما ماهيته التي ينفرد بها في العمل الأدبي.

---

[1]- اِبن قتيبة، الشعر والشعراء، تح: أحمد محمد شاكر، ج1، دار الحديث، القاهرة، مصر، ط2، 1418هـ_1998، ص4-6.

[2]- المصدر نفسه، ص47.

[3]- إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط4، 1404هـ_1938م، ص108.

أمّا عن "اِبن محمد أحمد بن طباطبا العلوي" (ت322هـ) فقد دلّ بمعناه في مسألة الشكل والمضمون، التي ظهرت وكأنها سحر النقد العربي القديم، إذ لا يكاد ناقد عربي قديم يفلت من أسره ويتحدّث عنها، ويبدو أنّ "اِبن طباطبا" مثل كثير من النقّاد لا يفصل بين طرفي المعادلة فيقول: "وللشعراء أدوات يجب إعدادها قبل مراسلة وتكلّف نظمه، فمنها التوسّع في علم اللغة والتصرّف في معانيه، وإيفاء كلّ معنى حظّه من العبارة وإلباسه ما يشاكله من الألفاظ، حتّى يبرز في أحسن زيّ وأبهى صورة، واِجتناب ما يشينه من سفاسف الكلام وسخيف اللفظ والمعاني المستبردة والتشبيهات الكاذبة، والإشارات المجهولة والأوصاف البعيدة والعبارات الغثّة، حتّى لا يكون متفاوتًا مرفوعًا بل يكون كالسبيكة المفرغة، والوشي المنمن، والعقد المنظّم، واللباس الرائق، فتسابق معانيه ألفاظه، فيتلذّذ الفهم بحسن معانيه كاِلتذاذ السامع بمونق لفظه"[1].

يؤكّد "اِبن طباطبا" هذا الرأي النقدي على موقع آخر بقوله: "فإن أراد الشاعر بناء قصيدته فحص المعنى الذي يريد بناء الشعر عليه في فكره نثرًا، وأعدله ما يلبسه من الألفاظ التي تطابقه والقوافي التي توافقه، والوزن الذي يسلس له القول عليه، ويكون النسّاج الحاذق الذي يفوق وشيه بأحسن التفويق، ولا يهلهل منه شيئًا فيشينه، وكالنقّاش الذي يضع الأصباغ في أحسن تقاسيم نقشه، وكناظم الجوهر الذي يؤلّف بين النفيس منها الثمين الرائق ولا يشين عقوده، وكذلك الشاعر إذا أسّس شعره على أن يأتي فيه بالكلام الفصيح لم يخلط به الحضري المولّد"[2].

[1]- محمد أحمد بن طباطبا العلوي، عيار الشعر، تح: عباس عبد الساتر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1426هـ_2005، ص10.

[2]- المصدر نفسه، ص11-12.

ويؤكّد "اِبن طباطبا" تلاحم هذين الركنين من جديد فيقول: "والكلام الذي لا معنى له كالجسد الذي لا روح فيه، كما قال بعض الحكماء: الكلام روح الجسد، فجسّده النطق وروحه معناه"[1]، لقد أكّد "اِبن طباطبا" فكرة الاِعتدال والاِنسجام، فالسرّ في الجمال، الاِعتدال، والسرّ في القبح هو الاِضراب، وعليه فإنّ الجمال لا يتحقّق إلّا بالاِعتدال والاِنسجام القائم بين صحّة الوزن وصحّة المعنى وعذوبة الشكل.

ويأتي قدامة بن جعفر (337هـ) إلى أن ترجم فكرته النهائية حول ضرورة الربط بين طرفي المعادلة (الشكل والمضمون)، قال: "اللفظ يجب أن يكون سمحًا سهل مخارج الحروف من مواضعها، عليه رونق الفصاحة مع الخلّو من البشاعة، وعيوبه أن يكون ملحونًا وجاريًا على غير سبيل الإعراب واللغة، وحشيًا قائمًا على المعاضلة"[2]، فهنا يدعو إلى المساواة بين الشكل والمضمون.

وفي موضع آخر: "وهذه هي البلاغة التي وصف بها بعض الكتّاب رجلًا قال: "كانت ألفاظه قوالب لمعانيه؛ أي هي مساوية لها، لا يفضّل أحدهما عن الآخر"[3]، حيث قال: "ومن أنواع اِئتلاف اللفظ والمعنى المساواة، وهو أن يكون اللفظ مساويًا للمعنى حتى لا يزيد عليه ولا ينقص عنه"[4]، حيث تبيّن لنا من خلال أقواله ضرورة الربط بين الشكل والمضمون.

نستخلص ممّا سبق أنّ "قدامة بن جعفر" لا يختلف رأيه عن رأي سابقيه، حيث ذهب إلى أنّ العمل الأدبي يجب فيه المساواة بين الشكل والمضمون.

[1]- محمد أحمد بن طباطبا العلوي، عيار الشعر، تح: عباس عبد الساتر، ص17.

[2]- أبو الفرج قدامة بن جعفر، نقد الشعر، مطبعة الجوائب، قسنطينة، ط1، 1302هـ، ص57.

[3]- المصدر نفسه، ص55.

[4]- المصدر نفسه، ص55.

إنّ متابعة آراء "أبو هلال العسكري" (395هـ) النقدية، تؤكّد أنّ الرجل متحيّز للشكل منتصرٌ له على حساب المضمون، حيث يقول "ومن الدليل على أنّ مدار البلاغة على تحسين اللفظ أنّ الخطب الرائعة والأشعار الرائعة والأشعار الرائقة ما علمت لإفهام المعاني فقط، لأنّ الرديء من الألفاظ يقوم مقام الجيد منها في الإفهام، وإنّما يدلّ على حسن الكلام، وإحكام صنعته، ورونق ألفاظه، وجودة مطالعه وحسن مقاطعه، وبديع مبادئه وغريب مبانيه على فضل قائله وفهم منشئه"[1]،وينتهي به الأمر إلى تقرير رؤيته "أعظم مدار البلاغة على تحسين اللفظ، لأنّ المعاني إذا دخل بعضها في بعض هذا الدخول، وكانت الألفاظ مختارة حسن الكلام، وإذا كانت مرتّبة حسن والمعارض سيئة كان الكلام مردودًا"[2].

يبدو أنّ "العسكري" في نظرته لا يستطيع أن يؤكّد عملية الفصل، إنّما يريد أن يعقد بين الشكل والمضمون، ويؤكّد أن لا غنى لأحدهما عن الآخر، ويكاد "للعسكري" أن يصرّح بفكرة الموازنة من أصلها يقول: " وحقّ المعنى أن يكون له الاِسم طبقًا للفظ؛ بقدر المعنى غير زائد عليه، ولا ناقص عنه"[3]، فإنّه يقرّر فكرة الجسد والروح بين الشكل والمضمون، فلا مجال للاِستغناء لأحدهما عن الآخر، ومنه يظهر أن "العسكري" سار بأفكار من سبقوه، وخاصّة "الجاحظ" و"اِبن قتيبة".

لعلّ الوقوف عند "عبد القاهر الجرجاني" (471هـ)؛ فهو أفضل من تحدّث في مسألة الشكل والمضمون، وذلك في كتابه (أسرار البلاغة) و(دلائل الإعجاز)، هما أفضل الكتب التي عالجت مثل هذه المشاكل، حتّى صادفنا في كتابه هذين (نظرية النظم) الشهيرة التي أوقفت كلّ من أراد معالجة هذا المشكل،

[1]- أبو هلال العسكري، الصناعتين الكتابة والشعر، تح: مفيدة قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1409هـ_1989م، ص73.

[2]- المصدر نفسه، ص214.

[3]- المصدر نفسه، ص45.

فهو لا يحكم على المفردة إلى حين دخولها سياق الكلام، "فربط الألفاظ في سياق يكون وليد الفكر لا محالة، والفكر لا يضع لفظة إزاء أخرى، لأنّه يرى في اللفظة نفسها ميزة فارقة، وإنّما يحكم بوضعها لأنّ لها معنى ودلالة بحسب السياق نفسه، ولهذا كانت المعاني لا الألفاظ هي المقصودة في إحداث النظم والتأليف، فلا نظم في الكلم ولا تأليف حتّى يعلق بعضها بعضًا، ويبنى بعضها على بعض، وبهذا يكون اللفظ تابعًا للمعنى بحسب ما يتمّ ترتيب المعنى في النفس"[1].

لقد واجه "عبد القاهر" كلّ النقّاد الذين سبقوه من حيث اِنحياز بعضهم للشكل على حساب المضمون، واِستنكر مواقفهم تلك فقد تصدّى للذين اِنحازوا للمضمون على حساب الشكل واِستنكر مواقفهم، وقد كان واضحًا في رأيه هذا يقول: "لا يتصوّر أن تعرف للفظ موضعًا من غير أن تعرف معناه، ولا أن تتوخّى في الألفاظ من حيث هي ألفاظًا ترتيبًا ونظمًا، وأنّك تتوخّى الترتيب في المعاني وتعمل الفكر هناك، فإذا تمّ لك ذلك أتبعها الألفاظ وقفوت بها أثارها، وإنّك إذا فرغت من ترتيب المعاني في نفسك لم تحتج إلى أن تستأنف فكرًا في ترتيب الألفاظ بل تجدها تترتّب لك بحكم أنّها خدم للمعاني، وتابعة لها ولاحقة بها، وأن العِلمَ بمواقع المعاني في النفس علمٌ بمواقع الألفاظ الدالة عليها في النطق"[2].

بناءً على ما سبق نقول أنّ "عبد القاهر الجرجاني" عرف قيمة الشكل في النظم، وعرف طريقة تصوير المضامين على حقيقته، ثمّ جمع بين الشكل والمضمون وسوّى بينهما، ورأى أنّ الشكل جسد والمضمون روح، وعدّهما متلازمين بالضرورة، ورفض القول بأن يكون الشكل فصيحًا بمفرده وإنّما تكسب الفصاحة بنظمِها في جملة الكلام.

[1]- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص62.

[2]- المصدر نفسه، ص54.

نستخلص من خلال أقوال النقّاد العرب القدامى حول مسألة الشكل والمضمون، اِتّفاقهم أحيانًا وتباعدهم واِضطرابهم واِتّخاذهم للاِتّجاهات والأساليب التي تنوّعت، وهناك من اِنتصر للشكل ومن اِنتصر للمضمون، وجامع بينهما تارة أخرى.

3. الشكل والمضمون عند النقّاد العرب حديثًا:

ظهرت قضية الشكل والمضمون كإحدى قضايا النقد العربي الحديث، لأنّها تعدّ فصلًا مهمًّا في الكلام والشعر، ومنه أنتج تأثّر النقد العربي الحديث بالنقد الغربي، وتحويل قضية اللفظ والمعنى إلى مصطلح الشكل والمضمون، لغرض التطوّر والتقدّم لفكّ الركود الذي ساد قديمًا وجعله أكثر عمقًا، غير أنّ الكثير من المحدثين مازالوا يستخدمون لما يسمّى القديم.

وقد ربط "شوقي ضيف" مصطلح اللفظ والمعنى بالشكل والمضمون، وبيّن ذلك من خلال قوله: "اللفظ والمعنى أو الصورة والمضمون ليسا شيئان منفصلان كالكأس وما يكون فيها من شراب، بل هما مرتبطان ترابط الثوب بمادته"[1]، فهذا يدلّ على أنّ الصورة هي النموذج الفنّي للعمل الأدبي، الذي يتفاعل مع كلّ من الشكل والمضمون.

يظنّ القارئ أنّ الجمال يرجع إلى الشكل من الألفاظ والصور والإيقاع، ولكن حين يدقّق النظر يراها تدخل في المضمون التي تعبّر عنه، وتنمو في كيان النفس الداخلي مع المشاعر والعواطف، ومنه لا يستطيع الإنسان أن يميّز لحاها عن هيكلها[2].

نستنتج ممّا سبق أنّ الشكل والمضمون في النموذج الأدبي غير منفصلين، إنّما تتّخذ وسائلها من روافد عديدة، وهي الأفكار المجرّدة التي تجسّد هذه المعاني الذهنية الداخلية.

---

[1]- شوقي ضيف، في النقد الأدبي، دار المعارف، القاهرة، ط9، ص164.

[2]- المرجع نفسه، ص146.

ربط "محمد مندور" كلّ من مصطلح الشكل والمضمون بالتجربة والصياغة (الصورة والمضمون)، فالصورة تقترب شيئًا ما من الشكل، أمّا الموضوع مختلف لما يسمّى بالمضمون لقول "أرنست قيشر": غالبًا ما يكون بالمعنى إلّا أنّ ذلك ليس الشيء نفسه"[1]، غير أنّ الكثير من الأدبيين يستطيعون تفسير ومعالجة الموضوع بالطرق المتباينة، حيث لا يكون لأثرهما كثير ممّا هو مشترك بينهما، كأنّ الموضوع وحده لا يحدّد شكلًا خاصًا، لكن المحتوى والشكل معًا يتّحدان في التفاعل الجدلي، فلا يمكن أن يصبح الموضوع محتوى إلّا من خلال موقف الفنان، ذلك لأنّ المحتوى لا يشكّل الطريقة التي قدم بها هذا الشكل، كما أنّه يشير إلى درجة الوعي الإجتماعي الفردي.

درس "ميخائيل نعيمة" قضية الشكل والمضمون بحسّه الأدبي والفنّي، ممّا جعل منه ناقدًا فنّانًا لا ناقدًا عالِما، إذا يقول: "غير أنّ من الكتّاب الشعراء من لا يرون من الألفاظ سوى رنّانتها، فيؤلّفون ألحانًا رقيقة إنّما لا جمال فيها ولا بيان، فقيمة ما يكتبه هؤلاء وينظّموه تقاس بقدر ما يسدّه من هذه الحاجة أو تلك من حاجتنا الروحية[2]، ومنه يتبيّن لنا أنّ "ميخائيل نعيمة" يرى بعينه الروحية ما لا يراه كلّ البشر ومصوّر، لأنّه يقدر أن بسكب ما يراه ويسمع في قوالب جميلة من صور الكلام والموسيقى، يسمع أصواتًا متوازنة حيث لا نسمع نحن سوى هدير وجعجعة.

إنّ الشاعر لا يجب أن يكون عبدًا لزمنه ورهين إرادة قومه، ولا أن يطبق عينيه ويصمّ أذنيه عن حاجات الحياة وينظم إليه نفسه فقط، سواء ما كان لخير العالم أو لويْله، وما دام يستمدّ غذاءً لقريحة من الحياة فهو ما يقدر أن يعكس أشعّة تلك الحياة في أشعاره[3].

---

[1]- محمد مندور، في الميزان الجديد، مؤسّسة هنداوي، القاهرة، 1973، ص160.

[2]- ميخائيل نعيمة، الغربال، مؤسّسة نوفل، بيروت، لبنان، ط2، 1978، ص71.

[3]- المرجع نفسه، ص72.

توصّلنا في ما سبق أنّ أنصار النقد العربي الحديث قد اِتّفقوا على أنّ الشكل والمضمون قضية واحدة لا ينبغي التفرقة، إنّما ينبغي دراستها كمسألة واحدة لأنّ الشكل كمرأة للمضمون والعكس صحيح.

نلاحظ أنّ قضية الشكل والمضمون بقيت نفسها، وإنّ ما تغيّر هو التسمية فقط، وأنّ نقّاد المحدثين تأثّروا بالنقد القديم حتّى أنّهم يردّدون أحيانًا مقولات القدامى، غير أنّ إشكالياتها اِزدادت في العصور الحديثة مع تطوّر الحياة الاِجتماعية مع تعدّد المذاهب الفكرية والنظريات النقدية القديمة.

4.طبيعة الفصل بين الشكل والمضمون:

لقد اِدّعى النقاد أنّ هناك مضمون في الأدب يمكن فصله عن الشكل الذي يشكله بعد تجربة مفهومه أو معنى مفهوم، وأنّ هناك شكلًا فنّيًا منفصلًا عن المضمون الذي يتكوّن من خلالها وهو لأمر غريب.

يوحي موقف النقّاد القدامى والمحدثين بضرورة الفصل بين الشكل والمضمون، وأنّ أنصار الشكل اِهتمّوا بها فقط وأهملوا المضمون، والعكس بالنسبة لمؤيّدي المضمون؛ أي الفصل التامّ بينهما عند النظر في العمل الأدبي، لكن هذا الحكم مخالف للحقيقة وبعيد عن الواقع.

تطرّق "محمد السعدي فرهودي" يقول: "ولنا من وجهة نظرنا أنّ الفصل بين الصورة والمضمون في العمل الأدبي فصل تعسّفي أو نظري، هدفه رعاية المنهج المدرسي الذي يسمح له أن يتناول كلاهما على حدة"[1]، يتبيّن لنا من خلال هذا القول أنّ الفصل بين الشكل والمضمون فصلٌ مدرسي فقط لسهولة دراسة كلّ منهما، وإن كان في حقيقة الأمر لا يصحّ لأنّه لا قيمة لأحدهما دون الآخر.

كما لا يأتي لناقد دراسة الشكل في العمل الأدبي منفردًا عن المضمون ولا المضمون منفصل عن الشكل إلّا في شيء من التعسّف والتكلّف، فكلا الجانبين عندما نبحث في آرائهم وأقوالهم النقدية نجد أنّ

[1]– محمد جمعة نوارج، الشكل الأدبي من منظور النقد الأدبي الحديث نظريًا وتطبيقيًا، مجلّة جامعة الأزهر للدراسات الإسلامية، ص05.

لديهم أراء ومواقف في الجانب الذي لم يصل إلى اِهتمامهم الأكبر: المضمون عند أنصار الشكل والشكل عند أنصار المضمون، الذي يعني تداخل الجانبين والترابط الوثيق وصعوبة الفصل بينهما إلّا في حدود المنهج المدرسي[1].

نبيّن من خلال الدراسة لهذه القضية أنّه لا نستطيع أن نتخيّل مضمون هذا النموذج دون قراءته، وكذلك لا نستطيع أن نتصوّر ألفاظه دون محتواه فهو يعبّر الجانبين، وهو شيء واحد ممتزج متلاحم لا يتمّ نموذج فنّي بغياب أحدهما هذا يعني أنّ المادة والصورة لا تفترقان، وكلّ واحد يتألّف من خصائص جمالية مختلفة.

5.علاقة الشكل بالمضمون:

شغلت الشكل والمضمون الباحثين والنقّاد، فبحثوا عن العلاقة الموجودة بين الشكل والمضمون، فمنهم من يقول أنّها علاقة قديمة وفطرية، والبعض يرى لزوم وجود علاقة بينهما كالنار والدخّان لا يمكن الفصل بينهما.

يؤكّد "العتابي" في قوله: "الألفاظ أجساد والمعاني أرواح وإنّما تراها بعيون القلوب، فإذا قدَّمْت منها مؤخّرًا وأخّرْت منها مُقدّمًا أفسدتَ الصورة وغَيَّرْت المعنى، كما حُوِّل رأس إلى موضع يد أو يد إلى موضع رجل لتحوّلتْ الخلقة وتغيّرتْ الحِلِيَة"[2]، يدلّ هذا القول أنّ المعنى –حسب العتابي– لا يقوم بغير لفظ كما لا تقوم الروح بغير جسد، فهما متلازمان تلازم الجسد والروح في الأشخاص ولا يمكن أن نفرّق بينهما.

[1]– محمد جمعة نوارج، الشكل الأدبي من منظور النقد الأدبي الحديث نظريًا وتطبيقيًا، مجلّة جامعة الأزهر للدراسات الإسلامية، ص06.

[2]– شوقي ضيف، البلاغة والتطوّر والتاريخ، دار المعارف، ط9، د.ت، ص41.

يرى "الأخضر جمعي" أنّه يعتمد على مستويين في تجسيد نظرة "الجرجاني" إلى مسألة الشكل والمضمون، مستوى لغوي عامّ ومستوى أدبي، ففي المستوى الأوّل يتمثّل تصوّر "الجرجاني" للغة أنّه قائم على التمييز بين المضمون والشكل، فالعلاقة تتحدّد بينهما في صلة إشارية تختزل في مواضيعه تشير إلى شيء سابق مروق"[1].

ممّا يجعل "الجرجاني" يتساءل قائلًا: "كيف والمواضعة لا تكون ولا تتصوّر إلى علم معلوم، فمحال أن يوضع اِسم أو غير اِسم لغير معلوم، ولأنّ المواضعة لا تكون ولا تتصوّر إلّا على معلوم، فمجال أن يوضع اِسم أو غير اِسم لغير معلوم، ولأنّ المواضعة كالإشارة فكما أنت إذا قلت خذ ذاك لم تكن هذه الإشارة لتعرف السامع المشار إليه في نفسه، ولكن ليعلم أنّه المقصود من بيت سائر الأشياء التي تراها وتبصرها، كذلك حكم اللفظ مع ما وُضِع له..."[2]، ومنه يدلّ قول "الجرجاني" أنّ علاقة الشكل والمضمون علاقة إشارية، وأنّ الشكل لم يكن إلّا من أجل المضمون وخدمته، فالعلاقة بينهما كالوعاء؛ فالشكل أوعية للمضمون، فالشكل إذن وُجِد من أجل تكميل المضمون وخدمته.

وضّح الإمام "عبد القاهر الجرجاني" أنّ الشكل تابع للمضمون، وذلك في قوله: "وكيف يتصوّر أن يصعب مرام اللفظ بسبب المعنى، وأنت إذا أردت الحقّ لا تطلب اللفظ بحال، وإنّما تطلب المعنى، وإذا ظفرت بالمعنى فاللفظ منك وإزاء ناظرك"[3]، ويصرّح في موضع آخر بأنّ الشكل خدم للمضمون، حيث يقول: "وإنّك إذا فرغت من ترتيب المعاني في نفسك، ولم تحتج إلى أن تستأنف فكرًا في ترتيب الألفاظ، بل تجدها تترتّب لك

[1]- الأخضر جمعي، اللفظ والمعنى في التفكير النقدي والبلاغي عند العرب، اِتّحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001، ص188.

[2]- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص309.

[3]- المصدر نفسه، ص48.

بحكم أنّها خدم للمعاني وتابعة لها ولاحقة بها، وأنّ العلم بمواقع المعاني في النفس علمٌ بمواضع الألفاظ الدالة عليها في النطق"[1].

يتبيّن من خلال أقوال "عبد القاهر الجرجاني" أنّ الشكل تابع للمضمون وأنّ كلّا منهما يخدم الآخر فهما مترابطان.

اِنتبه "اِبن رشيق القيرواني" إلى قضية الشكل والمضمون منذ البداية إلى أنّهما يتبادلان التأثير والتأثّر، فإذا اِختلّ أحدهما اِختلّ الآخر وإن قوي اِستمدّ الآخر قوّته، فيقول: "اللفظ جسم والمعنى روحه، واِرتباطه به كارتباط الروح بالجسم يضعف بضعفه ويقوى بقوّته، فإذا سلم المعنى واِختلّ بعض اللفظ كان نقصًا للشعر وهجنه عليه، وكذلك إن ضعف المعنى واِختلّ بعضه كان للفظ من ذلك أوفر حظًا"[2]، ومنه فالشكل والمضمون عند "اِبن رشيف" حقيقتان متّحدتان، فجعل المعنى هو الروح واللفظ هو الجسد فالأوّل مكمّل للثاني.

ومنه نستنتج أنّ العلاقة بين الشكل والمضمون متلازمان كالروح والجسد، لا يمكن الفصل بينهما لأنّهما ضروريان في العمل الأدبي.

[1]- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص44.

[2]- اِبن رشيق القيرواني، العمدة في صناعة الشعر ونقده، تح: عبد الحميد الدين، مطبعة السعادة، القاهرة، مصر، ط3، 1963، ص124.

الفصل الثاني

قضيّة الشكل والمضمون عند "الجاحظ"

خطّة الفصل الثاني

1. نبذة عن المؤلّف
2. مفهوم الشكل والمضمون عند الجاحظ
   أ. مفهوم الشكل
   ب. مفهوم المضمون
3. قضية الشكل والمضمون عند الجاحظ
   1.3. موقف الجاحظ من قضية الشكل والمضمون
   2.3. تطابق الشكل والمضمون عند الجاحظ
4. نموذج الشكل والمضمون عند الجاحظ
   أ. نموذج الشكل.
   ب. نموذج المضمون
5. علاقة الشكل والمضمون بفكرة "المقام والمقال"
6. الشكل والمضمون عند المعتزلة
   1.6. تعريف المعتزلة
   2.6. مذهب الاِعتزالي
   3.6. النظم عند الجاحظ

تمهيد:

تعتبر قضية الشكل والمضمون من أهمّ القضايا التي شغلت المفكّرين والبلاغيين العرب قديمًا وحديثًا، ويعدّ "الجاحظ" من أبرز العلماء العرب القدامى الذين درسوا الشكل والمضمون وصفًا وشرحًا دقيقًا وكلّ الجوانب المتعلّقة بهما، من خلال كتابه (البيان والتبيين) الذي يعتبر إرثًا عظيمًا ومرجعًا أساسيًا في الدراسات البلاغية والنقدية.

وقد أردنا في بحثنا كشف آراء "الجاحظ" في قضية الشكل والمضمون، وسنحاول أن نبيّن موقف "الجاحظ" ونموذجه، ومدى تناسب الشكل والمضمون عند "الجاحظ".

1. نبذة عن المؤلّف:

هو "أبو عثمان عمرو بن بحر محبوب الكناني الفقيمي" لُقِّب بـ "الجاحظ" لجحوظة عينيه؛ أي نتوئها، وكان هذا اللقب لا يعجبه، ولد "أبو عثمان" في البصرة حوالي 766 (160هـ)، ومات فيها سنة 869 (255هـ)[1].

اِختلف المؤرّخون والنقّاد في أصل "الجاحظ"، فذهب "بعضهم إلى أنّه من أصل عربي، وذهب البعض الآخر إلى أنّه من العناصر الإفريقية التي تداخلت في العنصر العربي، والفريقان ينسبانه إلى كنانة أصيلًا أو مولى"[2]، إذ هناك من يقول إنّه من أصل عربي من بني كنانة، وإنّ اِسمه الكامل: "أبو عثمان بن بحر بن محبوب من فزارة الكناني الليثي من بني كنانة بن خزيمة والد النضر أبي قريش"[3]؛ أي هناك من يؤكّد عروبة "الجاحظ".

[1]- جميل جبر، الجاحظ ومجتمع عصره في بغداد، دار الكتب اللبناني، مكتبة المدرية، بيروت، د.ط، 1959، ص7.

[2]- حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، ط2، 1953، ص565.

[3]- عبد المنعم خفاجي، أبو عثمان الجاحظ، دار الكتاب اللبناني، بيروت، د.ط، 1959، ص17.

"للجاحظ" سمات خاصّة به وكان يوصف بأنّه "قبيح المنظر، مُشوّه الوجه، ناتئ العينين، ولكنّه جمع إلى قبح الخارج، صفات كثيرة جعلت منه سيّد عصره، أي أنّه بالرغم من سوء صفاته الخارجية إلّا أنّ له صفات أخرى جعلت منه يروق الكبير والصغير، فكان مطبوعًا على الظرف والفكاهة"[1]، فكان "الجاحظ" شخصية محبوبة ومميّزة من الجميع بفضل خصاله.

للجاحظ كتب متنوّعة في مختلف المواضيع، إذ أنّ له أكثر من ثلاثمائة وخمسين كتابًا في مختلف فروع الثقافة، لكنّها ضاعت كلّها وبقي إلّا القليل، وعلى مرّ الأيّام والأجيال"[2]، كما تميّز بغزارة بحوثه ومصنّفاته العديدة والمتنوّعة المواضيع، وقلّما كتَب أديبٌ مقدار ما كتبه "الجاحظ"، فهو لم يدع بابًا إلّا وَجله، ولا بحثًا إلّا جال فيه، وقد كان له من الثقافة الموسوعية ما جعله يكتب في كلّ فروع العلم والأدب والسياسة والدين والفلسفة واللاهوت المعروفة في زمانه"[3].

كان "أبو عثمان" أكثر الناس حبًّا للقراءة والتأليف يقول "ابن العميد" عن كتب "الجاحظ": "إنّ كتب "الجاحظ" تعلم العقل أوّلًا، والأدب ثانيًا، وهذه الكتب لم يُنشر منها إلّا كتاب (البيان والتبيين) في الأدب والإنشاء والخطابة وكتاب الحيوان، وهو أقدم كتاب عربي في موضوعه، وكتاب (المحاسن والأضرار)، وكتاب (البخلاء) وديوان رسائله"[4]، فأثار "الجاحظ" وأفكاره وكتبه، تؤلّف موسوعة علمية وأدبية كاملة، وهي خير مثال للثقافة العربية والنضج الفكري والأدب البليغ والأسلوب الإنشائي الرفيع.

[1]- حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، ص568.

[2]- عبد المنعم خفاجي، أبو عثمان الجاحظ، ص11.

[3]- جميل جبر، الجاحظ ومجتمع عصره في بغداد، ص14.

[4]- أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي، دار العربي، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 296، 1975م، ص232.

توفي "الجاحظ" سنة 868م/255هـ، وقد اِنهالت عليه الكتب يومًا وهو جالس بينها يقرأ فقضت عليه"[1].

2. مفهوم الشكل والمضمون عند الجاحظ:

أ. الشكل عند الجاحظ:

بيّن الجاحظ أنّ الشكل من أسمى وأرقى وسائل البيان، وقد أعطى "الجاحظ" للكل أهمية كبيرة، حيث توسّع فيه وبيّن كيف يكون مفردًا أو مركّبًا، ويبدو أنّ "الجاحظ" من ظاهر نصوصه في قضية الشكل والمضمون أنّه يرفع من قيمة الشكل ويجعلها أساسية.

إذ يضع "الجاحظ" الأناقة والجودة والجمال في الألفاظ، فالمقياس عنده القيمة الأدبية التي تقوم على جزالة اللفظ وجودة السبك وحسن التركيب، حيث يقول: "المعاني مطروحة في الطريق، يعرفها العجميّ والعربيّ والبدويّ والقرويّ، إنّما الشأن في إقامة الوزن، وتخيّر اللفظ، وسهولة المخرج، وفي صحّة الطبع، وجودة السبك[2]، فيظهر من خلال هذا القول أنّ مدى اِهتمام "الجاحظ" بالشكل ومدى إبعاده للمضامين وكأنّه ليس لديه أيّ أهمية، فهو ينفي الحسن في الكلام عن المعنى.

أمّا مراد "الجاحظ" باللفظ الألفاظ المفردة تارة، وتارة أخرى الأسلوب كما في عبارته المشهورة: "وإنّما الشعر صناعة، وضرب من التسييج، وجنس من التصوير"[3]، ونجد "الجاحظ" في مقولته الشهيرة من خلال كتابه (البيان والتبيين) يعطي الأهمية للجانب الشكلي، وجعل في رأيه الألفاظ معدودة، والمعاني غير منتهية،

---

[1]- حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، ص568.

[2]- أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، الحيوان، ج3، ص131.

[3]- علي محمد حسن العماري، اللفظ والمعنى وأثرهما في تدوين البلاغة العربية، دار أميرة للطباعة، جامعة الأزهر، ط1، القاهرة، مصر، 1420هـ/1999م، ص159.

"حكم المعاني خلاف حكم الألفاظ، لأنّ المعاني مبسوطة إلى غير غاية وممتدّة إلى غير نهاية، وأسماء المعاني مقصورة معدودة ومحصّلة غير محدودة[1]؛ إذ نلاحظ أنّ "الجاحظ" من هذا القول أنّه أعطى اللفظ مكانة كبيرة وأرقى، وأنّ القيمة الأدبية تكون في اللفظ.

يتبيّن لنا ممّا سبق أنّ الشكل يميل إلى اللفظ، بحيث يعتبره الجوهر الأساسي في لتأليف ومن دونه لا يكون الكلام سليمًا وصحيحًا.

ب. المضمون عند الجاحظ:

إن كانت الدراسات القديمة تتّفق عند المعاني إلّا أنّه ومن خلال ما أكّده "الجاحظ" أنّ المعاني مبسوطة إلى غير نهاية، ندرك أنّ قيمة المضمون قيمة ثانوية وليست ثانوية، حيث يقول: "وأحسن الكلام قليله يغنيك عن كثيره، ومعناه في ظاهر لفظه، فإذا كان المعنى شرفًا واللفظ بليغًا، وكان صحيح الطبع بعيدًا عن الإستكراه، ومنزّهًا عن الإختلال مَصونًا من التكليف، صنع في القلب صنيع الغيث في التربة الكريمة"[2]، يظهر من خلال هذا القول أنّ "الجاحظ" يرى أنّ المعنى يكون في ظاهر اللفظ، وأنّ هناك من المعاني ما هو شريف، ومنها ما هو غير شريف.

وقد ذهب بعض الدارسين إلى أنّ المعنى عند "الجاحظ" هو المعنى العامّ، إذ يقول: "وهذه المعاني التي يقدر عليها الناس جميعًا، من مثل الإمتداح بالشجاعة أو بالكرم أو ما أشبه ذلك"[3]، وذهب دارسون آخرون إلى أنّ "الجاحظ" يريد بالمعنى (المعنى الخاصّ): من تشبيه مصيب، أو حكمة مسلّمة، أو بمعنى لطيف، أو معنى وسط يمكن أن تحدث فيه صبغة، وأنّ المعاني الخاصّة موضع سرقة، وأنّها بعد أن يوردها مخترعوها يمكن أن

[1]- أبو عثمان عمرو بن عثمان الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص76.

[2]- المصدر نفسه، ص86.

[3]- علي محمد حسن عماري، اللفظ والمعنى وأثرهما في تدوين البلاغة العربية، ص158.

يأخذها من بعدهم: يقول: "ولا يعلم في الأرض شاعر تقدّم في تشبيه مصيب تامّ، أو في معنى غريب عجيب، أو في معنى شريف كريم، أو في بديع مخترع إلّا وكلّ من جاء الشعراء من بعده إن هو لم يعد على لفظه، فيسرق بعضه، أو يدّعيه بأسره، فإنّه لا يدع أن يستعين بالمعنى، ويجعل نفسه شريكًا فيه"[1].

وقد اِستحسن "الجاحظ" الألفاظ المقترنة بالمضامين اللطيفة المحكمة، فهو يشير إلى المعنى الشريف مع اللفظ الشريف، وبأنّ الأثر الجيّد من الكلام إنّه يتمّ بهما معًا، يقول: "إنّ المتكلّم لا يكون بليغًا حتّى يعطي اللفظ حقّه من البيان، ويحقّق حظّه من المعنى ويضع جميعها موضعها"[2]؛ فالجاحظ يعطي من أهمية القدرة على الصياغة الجميلة، فإذا اِستطاع المتكلّم أن يصوغ المضامين صياغة رائعة، واِستطاع أن يبرزها في أسلوب جيّد خالٍ من الشوائب والأخطاء كان عنده بليغًا.

3. قضية الشكل والمضمون عند الجاحظ:

بعد أن عرجنا إلى قضية الشكل والمضمون عند أهمّ البلاغيين العرب القدامى والمحدثين، الذين كان لهم الفضل في التمهيد لهذه الثنائية، سنعرض فيما يلي أهمّ ما جاء به "الجاحظ" في هذا الشأن، ومدى إسهامه في توضيح معانيها.

تطرّق "الجاحظ" في موقفه إلى التسليم بأنّ المعاني مبسوطة إلى غير نهاية، وممتدّة إلى غير نهاية، وأسماء المعاني مقصورة معدودة ومحصّلة محدودة"[3]، وعدم التكافؤ لا يمنع من تحقيق ما كان التعبير عن أيّ معنى بما يناسبه، ما دامت هذه العملية تقوم على نضد الألفاظ في تركيب متضمّن بمعنى.

[1]- علي محمد حسن عماري، اللفظ والمعنى وأثرهما في تدوين البلاغة العربية، ص159.

[2]- الجاحظ، البيان والتبيين، ج2، ص39.

[3]- الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص76.

وضّح "الجاحظ" أنّ مهمة المتكلّم الأولى هي التبليغ والتواصل، وهذا لا يخرج عن إطار الدورة التواصلية لكافّة عناصرها، المتكلّم هو المبادر بالإرسال، وذهب "الجاحظ" يضع خطوطًا تتعلّق في عمومها باختيار الألفاظ البسيطة والمخارج الدقيقة، وتجنّب المضامين البعيدة والغريبة اللتان تؤدّيان إلى التوعّر والتعقيد، فيجعل ذلك دون الوصول إلى المضمون وتحقيق المقصد، كذلك اِختيار سياق ومقتضى الحال على حدّ قوله، والذي أسّس عليه موضوعه.

1.3. موقف الجاحظ من الشكل والمضمون:

المعروف في تاريخ البلاغة والنقد أن "الجاحظ" أشهر عالم عربي من البلاغيين والنقّاد، الذي اِرتبط اِسمه بقضية الشكل والمضمون، يميل معظم البلاغيين إلى إعطاء "الجاحظ" الأهمية للشكل والأفضلية على المضمون، لقول "الجاحظ": "المعاني القائمة في صدور الناس المتصوّرة في أذهانهم والمختلجة في نفوسهم والمتّصلة بخواطرهم، والحادثة عن فكرهم، مستورة خفيّة بعيدة وحشية، محبوبة مكنونة موجودة في المعنى معدومة، ويعرف الإنسان ضمير صاحبه، ولا حاجة أخيه وخليطه، ولا معنى شريكه والمعاون له على أموره، وعلى ما يبلغه من حاجات نفسية إلى بغيره، وإنّما يوحي تلك المعاني ذكره لها وإخبارهم عنها واِستعمالهم إيّاها، وهذه الخصال هي التي تقرّبه من الفهم وتجليّها للعقل، وتجعل الخفيّ منها ظاهرًا، والغائب شاهدًا، والبعيد قريبًا، وعلى قدر وضوح الدلالة وصواب الإشارة وحسن الاِختيار ودقّة المدخل يكون في إظهار المعنى"[1].

لقد أولى "الجاحظ" الأولوية للشكل على المضمون ذلك أنّ الدلالة أوضح وأفصح، وكلّما كانت الإشارة ظاهرة كلّما زاد التعبير فهمًا ووضوحًا.

أشار "الجاحظ" إلى أهمية الشكل في تبيين المضمون في مواضيع كثيرة، في قوله: "وأحسن الكلام ما كان قليله يغنيك عن كثيره، ومعناه في ظاهر شكله، وكأنّ الله عزّ وجلّ ألبسه من الجلالة، وغشّاه من نور الحكمة

[1]- الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص75.

على حسب نيّة صاحبه وتقوى قائله"[1]، وفي قوله أيضًا: "إذا كان المعنى شريفًا واللفظ بليغًا، وكان صحيح الطبع بعيدًا عن الإستكراه، ومنزلها عن الإختلال مصونًا عن التكلّف، صنع في القلوب صنيع الغيث في التربة الكريمة"[2]، فمتى فصّلت الكلمة على هذه الشريطة ونفذت من قائلها عن هذه الصفة، أصابها الله من التوفيق ومنحها من التأييد لا يمتنع معه من تعظيمها صدور الجبابرة، ولا يذهل عن فهمها عقول الجهلة.

لقد كان لمن جاء أثرًا كبيرًا في بلورة هذا الفهم على نحو ما نجده عند "أبو هلال العسكري" لقوله: "وليس الشأن في إيراد المعاني، يعرفها العجمي والعربي والبدوي والقروي...، إنّما هو جودة اللفظ وصفائه وحسنه وبهائه نزاهة ونقائه وكثرة حلاوته ومائه"[3].

سار "أبو هلال العسكري" على مجرى "الجاحظ" في نظرته إلى الشكل والمضمون، محاولًا تبرير إنحيازه إلى الشكل على حساب المضمون، ودليله أنّ مدار البلاغة على تحسين الشكل والخطب الرائعة، والأشعار الرائعة ما عملت الإخصام المضمون فقط، لأنّ الردّ من الألفاظ يقوم مقام الجيّد منها في الإفهام.

2.3. تطابق الشكل والمضمون عند الجاحظ:

تعدّ قضية الشكل والمضمون في مستواهما الفنّي غير منفصلين عن التصوّر اللغوي عمومًا، وعن أبحاث الإبداع الأدبي خصوصًا، لقول "الجاحظ": "من المستحيل أن يكون اللفظ إسمًا إلّا وهو متضمّن بمعنى، وقد يكون المعنى بلا إسم، ولا يكون إسمًا إلّا وله معنى"[4]، لقد أعطى "الجاحظ" مبدأ المطابقة والمشاكلة بين الشكل

[1]- الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص87.

[2]- المصدر نفسه، ص86.

[3]- أبو هلال العسكري، الصناعتين، ص57.

[4]- الأخضر الجمعي، اللفظ والمعنى في الفكر النقدي والبلاغي عند العرب، إتّحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001، ص41.

والمضمون مدى أوسع، ليصبح بمقتضاه تلازم الشكل والمضمون إنعكاسًا للوظيفة المبتغاة، فإنّ مبدأ الوضوح وإعتماد الدلالة التصريحية في علاقة الشكل بالمضمون مشترطان بتحقيق وظيفة تبليغية إفهامية مباشرة.

يرى "الجاحظ" في أقسام البيان عامّة وملاحظاته المتعلّقة بالظاهرة اللغوية على وجه الخصوص، تمتدّ تصوّراته هذه إلى ترسيخ نظريته في الكلام، ويمكن القول أنّه إستطاع أن يظهر مدى أولوية أن يكون أحد الطرفين؛ أي الشكل والمضمون في التعبير مساويًا لعملية التعبير عنهما، ومن أراد أن يرسم المضمون لا بدّ أن يجئ المعنى لذلك الشكل، حتّى يستطيع الأديب أن يأتي بالمضامين ويلصقها إلصاقًا بالشكل حتّى يكون الكلام فصيحًا وبليغًا.

إنّ "الجاحظ" أوّل مفكّر عربي يمكننا أن نقف في تراثنا العربي الأصيل على نظريته المتكاملة، والتي تقدّم لنا المظهر العلمي لوجود اللغة المجرّدة ينجرّ بالضرورة في سياق خاصّ، وأيضًا مراعاة جملة من العوامل الأخرى كالسامع أو المرسل إليه، باعتباره أوّل مستقبل للرسالة أو الكلام والمقام وظروف القول.

عمل "الجاحظ" على البحث في هذه القضية من زوايا متعدّدة، فهو يرى مثلًا أنّ أحسن الكلام ما كان مضمونه ظاهرًا شكله، وذلك لا يتمّ برأيه إلّا من خلال المزاوجة بين المعنى الشريف واللفظ البديع، لقوله: "وأحسن الكلام ما كان قليه يغنيك عن كثيره، ومعناه في ظاهر قوله"[1]، فالجاحظ يرى أنّ المضامين في متناول جميع الناس وأنّ الكلام لا يكفي بالمعنى البليغ وحده حتّى يكتسب صفة البلاغة، وإنّما هو يحتاج إلى اللفظ الفصيح والأسلوب القويّ المحكَم لكلّ عناصره حتّى يكون له تأثير قويّ في أسماع الناس.

ومجمل القول أنّ "الجاحظ" أعطى القيمة كلّها للشكل من حيث صياغته للكلام وشرفه وحسنه، وكيفية إعطائه تعبيرًا أدقّ وأعلم، إلّا أنّه لم يجهل شأن المعنى، فالمضمون عنده يكون في ظاهر الشكل، فإذا كان المعنى

[1]- قصي الحسين، النقد الأدبي عند العرب واليونان معالمه وأعلامه، المؤسّسة الحديثة للكتاب، طرابلس، لبنان، ط1، 2003، ص308.

شريفًا وجب أن يكون الشكل بليغًا، وأكّد بذلك "الجاحظ" أنّ النظم كتلة مكوّنة من طرفين هما: الشكل والمضمون، وبهذا الفهم الخاصّ ننفي التناقض الذي نسب لـ "الجاحظ"، حيث يكون من بين دلالات المعنى عنده تلك الأصوات القابلة لأنّ التشكيل في صياغات مختلفة.

4. نموذج الشكل والمضمون عند الجاحظ:

أ. نموذج الشكل:

يرى "الجاحظ" أنّ للشكل صورة إيجابية لما لها من دور في صناعة الكلام، فاعتبر أنّ الألفاظ صناعة لأنّ لها دور في صناعة الكلام، حيث يقول: "وإيّاك والتوعّر فإنّ التوعّر يسلمك إلى التعقيد، والتعقيد هو الذي يستهلك معانيك، ويشين ألفاظك"[1]، هذا القول يعني أنّ الشخص الذي يملك اللفظ هو الذي يملك الفصاحة والبديهية، ويكون لفظه شهلًا خاليًا من الوعورة.

اِعتبر "الجاحظ" اللفظ النبيل الحرّ الشريف، وهنا يراعي دور الشكل في المقام ليؤكّد ذلك بقوله: "ومن أراد معنى كريمًا فليلتمس له لفظًا كريمًا، فإنّ حقّ المعنى الشريف اللفظ الشريف"[2]، وهذا يدلّ على أنّ الشكل مستويات ولكلّ شكل مقام خاصّ به، فالمعنى الشريف لفظًا شريف، والمعنى الكريم لفظًا كريمٌ.

كما أنّ للألفاظ دورًا مهمًّا في ظهور المضمون لولا الألفاظ لما وجدت المضامين لقول "الجاحظ": "وعلى قدر وضوح الدلالة وصواب الإشارة وحسن الاِختصار ودقّة المدخل يكون إظهار المعنى"[3]؛ فمن خلال قوله هذا أنّ الشكل يحتاج إلى المضمون ليكمله، لأنّه من الصعب إيجاد اللفظ المناسب الدال عليه، فالألفاظ تعبّر عن المضامين.

---

[1]- الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص136.

[2]- المصدر نفسه، ص136.

[3]- المصدر نفسه، ص75.

ب. نموذج المضمون:

ترتبط المضامين بالمقاصد التي تؤدّي إلى الفهم، فقد تحدّث "الجاحظ" عن المعاني في قوله: "المعاني القائمة في صدور الناس المتصوّرة في أذهانهم والمختلجة في نفوسهم والمتّصلة بخواطرهم، والحادثة عن فكرهم، مستورة خفيّة بعيدة وحشية، محبوبة مكنونة موجودة في معنى معدومة"[1]، وهذا دليل على أنّ المعاني موجودة في المضمون لكنّه مخفية، وتظهر من خلال القصد.

كما تحدّث "الجاحظ" في سياق آخر عن كثرة المعاني المرتبطة بكثرة الحاجات التواصلية للبشر وهي رؤية كونية، فيرى "الجاحظ" من خلالها بأنّ المعاني لا نهاية لها، لأنّ المعاني مبسوطة إلى غير غاية، وممتدّة إلى غير نهاية، وأسماء المعاني مقصورة معدودة ومحصّلة محدودة"[2]؛ وهذا يعني أنّ "الجاحظ" يربط كثرة المضمون بالرؤية الكونية، فالعالم يفيض من النعم والأعاجيب، وأنّ المعاني متعدّدة لا نهاية لها.

يبيّن "الجاحظ" أهمية المضامين ودورها في الوصول إلى الغرض والمغزى من الكلام، حيث يقول: "فإنّه لا خير في كلامٍ لا يدلّ على معناك، ولا يشير إلى مغزاك وإلى العمود الذي إليه قصدت، والغرض من الذي إليه نزعت"[3]، نلاحظ أنّ "الجاحظ" أعطى للمضمون أكثر من مصطلح المغزى، والعمود والغرض، وذلك لأنّه الأساس الذي يقوم عليه الكلام، وعدم فائدته من دونها.

[1]- الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص75.

[2]- المصدر نفسه، ص76.

[3]- المصدر نفسه، ص116.

5. علاقة الشكل والمضمون بفكرة "المقام والمقال":

لقد ركّز البلاغيون على أهمية المقام والمقال في نجاح العملية التواصلية، من حيث كونها عنصرًا هامًا في الكلام، لذلك كان "الجاحظ" يهتمّ به ويعتمد عليه في ربط الشكل بالمضمون لصناعة الكلام، حيث يقول: "لكلّ مقام مقال، ولكلّ صناعة شكل"[1]، وهذا يدلّ على أنّ ألفاظ المتكلّمين ينبغي أن توظّف في مقامها.

في كلّ منطقة كلام خاصّ بها، وتعدّد الشكل والمضمون من شخصٍ إلى آخر، يقول "الجاحظ": "لكلّ قومٍ ألفاظ حظيت عندهم، وكذلك كلّ بليغ في الأرض وصاحب كلام منثور، وكلّ شاعر في الأرض وصاحب كلام موزون، فلا بدّ من أن يكون قد لهج وألّف ألفاظًا بأعيانها ليديرها في كلامه، وإن كان واسع العلم غزير المعاني كثير اللفظ فصار حظّ الزنادقة من الألفاظ التي سبقت قلوبهم، واتّصلت بطبائعهم، وجرت على ألسنتهم التناكح، والنتائج، والمزاج، والنور، والظلمة، والدفاع، والمناع، والتساتر، والغامر، والمنحل، والبطلان، والوجدان، والأثير، والصديق، وعمود السبح، وأشكالٌ من هذا الكلام، فصاروا إن كان غريبًا مرفوضًا مهجورًا عند أهل ملّتنا ودعوتنا، وكذلك هو عند عوامنا وجمهورنا ولا يستعمله إلّا الخواص وإلّا المتكلّمون"[2].

نستخلص من هذا القول من خلال اِستغلاله لفكرة مطابقة الكلام للمضامين وللأحوال المختلفة وطبقات المستمعين، وتحدّث عن صفات الألفاظ ومعانيها، وأن يكون الأسلوب واسطًا بين اللغة العامّة واللغة الخاصّة، حيث نجد أنّ "الجاحظ" يربط ألفاظ المتكلّمين حسب اِختلاف بيئاتهم، إذ يقول: "وقبيح بالمتكلّم أن يفتقر إلى ألفاظ المتكلّمين في خطبة أو رسالة، أو في مخاطبة العوام والتجّار، أو في مخاطبة أهله وعبده وأمته، أو في حديثه إذا تحدّث، أو أخبره إذا أخبر"[3]؛ وفي موضع آخر يقول: "وأرى أنّ ألفاظًا بألفاظ المتكلّمين ما دمت

---

[1]- الجاحظ، الحيوان، ج3، ص369.

[2]- المصدر نفسه، ص366-367.

[3]- المصدر نفسه، 368.

خائضًا في صناعة الكلام مع خواصّ أهل الكلام، فإنّ ذلك أفهم لهم عني وأخفّ عليّ"[1]، وهذا يعني باختلاف أحوال المتكلّمين وبيئاتهم تختلف الألفاظ من مكان إلى آخر.

كما أنّ الشكل يختلف أيضًا باختلاف مستخدميها وأساليبهم، فلكلّ بيئة مفرداتها الخاصّة بها، فكلام البدو وألفاظ البادية لا يفهمها إلّا أصحابها، مثلما لا يفهم كلام الحضارة إلّا من سكنها، يقول: "فإنّ الوحشيّ من الكلام يفهمه الوحشيّ من الناس، كما يفهم السوقيّ رطانة السوقيّ، وكلام الناس في طبقات كما أنّ الناس في طبقات، كما أنّ الناس أنفسهم في طبقات"[2]؛ وهذا يدلّ على اِختلاف الشكل باختلاف البيئات والمتحدّثين وأساليبهم فتختلف أيضًا المضامين.

نستخلص ممّا سبق أنّ المقام الوسيلة المثلى للوقوف على خصائص ومميّزات الأجناس الأدبية، وكذا التمييز بينهما من ناحية، أو المفاضلة بينهما من ناحية أخرى، فجوهر العملية التواصلية هو مراعاة المقام.

6. الشكل والمضمون عند المعتزلة":

1.6. تعريف المعتزلة:

تعتبر المعتزلة مُؤسِّسة علم الكلام الحقيقي، وتعدّ من أهمّ الفرق الكلامية وأقدمها، ظهرت في بداية القرن الثاني للهجرة في مدينة البصرة التي كانت في ذلك العصر مجمعًا للعلم والأدب في الدولة الإسلامية العربية آنذاك، حيث يتمّ فيها اِحتكاك الأديان ببعضها البعض، كما أنّ أفراد مدرسة المعتزلة تجمعهم روابط متينة من وحدة العقيدة[3]، ويُطلَق عليهم بـ "المعتزلة" لأنّهم فارقوا أهل السنّة والجماعة وانشقّوا عليهم، وهم من الأوائل الذين وسّعوا دائرة المعرفة الدينية بحيث تشمل العقل، ولم يكتفي المعتزلة بإدخال عنصر العقل في المعرفة الدينية

[1]- الجاحظ، الحيوان، ج3، 368.

[2]- المصدر نفسه، ص367.

[3]- زهدي حسن جار الله، المعتزلة، بيروت، لبنان، ط1، 1974، ص01.

بل قدّموه على النصّ وقالوا بالفكر قبل السمع، فأوّلوا المتشابه من الآيات القرآنية ورفضوا الأحاديث التي لا يقرّها العقل وإستوجبوا معرفة الله بالعقل، ولو لم يرى شرع بذلك[1]، ومن أبرز كلام المعتزلة "بشر بن المعتمر" صاحب الصحيفة المشهورة التي أوردها "الجاحظ" في كتاب (البيان والتبيين)، وفيها لمحات نقدية مهمّة منها:

- ✓ ضرورة تنبيه الأديب إلى وقت الملاءمة وإجتناب أوقات الكدر والإستكراه.
- ✓ الملائمة بين اللفظ والمعنى، فاللفظ الكريم يحتاج معنًى كريمًا.
- ✓ الملائمة بين المعنى والمستمعين، فلكلّ طبقة كلام ولكلّ حالة مقام[2].

إسم "المعتزلة" أطلقه خصومهم بقصد الذمّ، بينما يعدّه المعتزلة أنفسهم إسم مدح ويتّخذونه لقبًا لهم، إذ ليس فيه معنى الإنشقاق والانفصال عن الدين، بل فيه معنى الإنفصال عن البِدع التي نها عنها الدين، ونذكر من أهمّ الأسماء المعتزلة كلّ من (الجهمية والقدرية)، إضافة إلى (المجوس)، وقد سمّوا أنفسهم أيضًا بـ (العدلية) في قولهم: "بعدل الله وحكمته، وكان أصل العدل هو أحد أصولهم الخمسة بالإضافة إلى إسم (الموحّدة)، لقولهم لا قديم مع الله لغرض التوحيد[3].

المعتزلة من الفِرق الكلامية ذات حركة فكرية متميّزة عن غيرها في إطار التصادم والصراع بينها وبين حركات مخالفة على المستوى العقائدي، حيث يعتبر رائدها "أبو هشام عبد الله بن محمد بن حنيفة"، ومن هذا المنطلق سنتطرّق إلى ذكر مذهب "الجاحظ الإعتزالي":

[1]- إبراهيم مذكور، في الفلسفة الإسلامية، دار المعارف، ج2، ، 1976، ص37.

[2]- الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص98.

[3]- إبن المرتضى، المنية والأمل في شرح كتاب الملل والنحل، دائرة المعارف، 1316هـ، ص02.

2.6. المذهب الاِعتزالي:

يعدّ "الجاحظ" من شيوخ المعتزلة، وهو الذي قام بتحديد معالمها والذي تأثّر بها من خلال طابعها العقائدي، وكانت أوّل ملاحظة في نشأة المعتزلة هو فهم البنية الفكرية لـ "الجاحظ" من خلال بنية أشمل وأوضح، وهي بنية فكر المعتزلة، وأيضًا كانت رؤيته للعالم في بنية دالة من لفظ وغير لفظ؛ أي نامي وغير نامي مثلًا: الإنسان والحيوان، أمّا غير النامي الجماد التي تشكّل مظاهر خلق الإنسان[1].

تأثّر "الجاحظ" بمذهب المعتزلة في إعمال العقل والدين، اِعتبروه مبدأ من مبادئهم الاِعتزالية، وذلك من خلال إدراك العالم والتفريق بين الإنسان والحيوان، كان "الجاحظ" من بداية عهده يطالع كثيرًا من كتب الفلسفة، وكان يخلط عباراته بعباراتهم ولقد شغف بالاِعتزال، وكانت صلة المعتزلة بالفلسفة معروفة ومقرّرة، وكان دافعه لتزويد مذهبه الاِعتزالي المعروف بالنظامية والذي اِشتهر المعتزلة به (النظام)[2]، حيث اِعتنق "الجاحظ" مذهب أستاذه النظام وغيرهم من أساتذة الاِعتزال، ومنه وضع لنفسه مذهبًا مستقلًا له وهو المعروف بـ "الجاحظية".

كان "الجاحظ" معروفًا بشغفه للقراءة ولمطالعة الذي أكسبه التنوّع في المعارف، والذي كان منطلقه الاِعتزال لكثرة اِطّلاعه على كتب الفلسفة، ومن بين الأساتذة الذين لازمهم في رحلته العلمية (النظام)، وكان له أن تأثّر به كذلك في الاِعتزال، إلّا أنّ "الجاحظ" اِنفرد من بين المعتزلة بأفكاره وآرائه الخاصّة، فمن مذهبه أنّ المعارف كلّها ضرورية وليس فيها شيء من أفعال العباد، وإنّما هي طبيعة وليس للعباد سوى الإرادة[3].

---

[1]– عمرو بحر الجاحظ، رسائل الجاحظ، رسالة في النابتة، دار الكتب العلمية، بيروت، ص106.

[2]– فوزي السيد عبد ربه، المقاييس البلاغية عند الجاحظ، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، 2005، ص30.

[3]– جورجي زيدان، تاريخ أدب اللغة العربية، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، د.ط، 1983، ص476.

ومنه فقد أعطت الإعتزالية أثرها في كتابات "الجاحظ"، والعقل رائد "أبي عثمان" في تصدّيه لكثير من الإدّعاءات في الدين والإجتماع والحيوان وغيره، يقول "الجاحظ": "ولعمري إنّ العيون تخطئ وإنّ الحواس لتكذب وما الحكم إلّا للذهن، وما الإستبانة الصحيحة إلّا بالعقل"[1]، فالجاحظ هنا يؤكّد أنّ مصدر المعرفة الموثوق بها هو العقل لا الحواس، ويقول: "الإعتماد على العقل دون الحواس والملاحظة، أنّ عبارة الحجّة هو العقل بما يعني أنّه أصل من أصول الأحكام، ومصدر من مصادر المعرفة والشرع، لقول الماوردي: "لأنّ حجج العقول أصل لمعرفة الأصول، إذ لا تعرف الأصول إلّا بحجج العقول.

إنّ المذهب الإعتزالي من أكبر المذاهب التي عرفها عصر "الجاحظ"، والذي أوصل به الأمر إلى الأخذ بمبادئها والعمل عليها.

3.6. النظم عند الجاحظ:

كان للمعتزلة دورًا مهمًا ومن الأوائل الذين تكلّموا عن الإعجاز القرآني، وذلك من أجل الإثبات عن صحّة نبوّة محمد ﷺ مع بلوغه الغاية في براعة نظم الكلام نثرًا وشعرًا، ومنه وإنطلاقًا من نظرية النظم نجد أنّ كلام المعتزلة فيه يتمحور حول إعطاء الأولوية للألفاظ لا المضامين، ومنه نستخلص نظرة المعتزلة للشكل والمضمون من خلال نظرية النظم التي قام بها "الجاحظ".

ذكر "الجاحظ" في كتابه (البيان والتبيين) مصطلح النظم عند حديثه عن ظّم الخطب ونظم القرآن، وكانت دراسته النظم، فالجاحظ فرّق بين نظم الكلام ونظم القرآن، وهذا الأخير لم يشر إلى مصطلح النظم إنّما أشار إلى الآتي: "وأجود الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء، سهل المخرج فيعلم بذلك أنّه أفرغ إفراغًا جيّدًا،

[1]– كاضم حطيط، دراسات في الأدب العربي: البيئة العباسية، الجاحظ، إبن الرومي والمتنبي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ط1، 1977، ص71.

وسبك سبكًا واحدًا، فهو يجري على اللسان كما يجري على الرهان"[1]، فقد ذكر "الجاحظ" (السلام، السبك، الإفراغ) كما تحدّث عن اللفظة المفردة ويقول: "ومتى كان اللفظ أيضًا كريمًا في نفسه متخيّرًا في جنسه، وكان سليمًا من الفضول بريئًا من التعقيد، حبّب إلى النفوس واتّصل بالأذهان والتحم بالعقول وهشّت إليه الأسماع وارتاحت إليه القلوب، وخفّ على ألسن الروّاة"[2]، ومن قوله أنّه يجعل تلاؤم أجزاء الكلام، وحسن سبكه، وإفراغه واختيار ألفاظه، وبعده عن التعقيد ممّا يسهّل وصوله إلى النفوس وفهمه، ومن هنا يبرّر لنا سبب اهتمامه بالنظم.

وبذلك نلاحظ أنّ نظرية النظم عند "الجاحظ" تدلي اهتمامًا بالشكل، ففكرة النظم عنده فكرة لفظية تعتمد على حسن الصياغة، وكمال التركيب، ودقّة تأليف اللفظ، وجمال نظمه، ولا عجب فقد كان شغوفًا بالشكل، وحسنه، وبهاء رونقه، حتّى قدّمه على المعاني.

[1]- أحمد مطلوب، أساليب البلاغة، الفصاحة، البلاغة، المعاني، جامعة بغداد شارع فهد السالم، الكويت، ط1، ص15.

[2]- أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص217.

خـاتمة

توصّلنا إلى مجموعة من النتائج نلخّصها في ما يلي:

- شغلت قضية الشكل والمضمون الكثير من النقاد العرب، سواء القدامى أو المحدثين، فقد كانت القضية الأساسية في البحث عن السرّ البلاغي في الإعجاز القرآني.
- قضية الإعجاز هي أهمّ قضية شغلت المسلمين، بعد توسّع رقعة الدولة الإسلامية وظهور بعض الآراء الفاسدة المشكّكة في كتاب الله ودينه، وقد ربط هؤلاء العلماء ما بين قضية الإعجاز والشكل والمضمون، لكشف أسرار القرآن الكريم وإبراز سرّ الإعجاز اللغوي فيه.
- الشكل والمضمون قضيّة قديمة، إذ كان القدماء وظّفوا اللفظ والمعنى بدل الشكل والمضمون.
- الشكل خادم للمضمون داخل سياق الكلام، وقد اِنتبه العلماء إلى أنّ الشكل والمضمون وجهان لعملة واحدة، لا يمكن لأحدهما أن يستغني عن الآخر.
- إن كان المضمون تستقطبه الدقّة والصواب، فإنّ الشكل يُشترط فيه الحسن والجودة في الكلام، مع ضرورة تحقيق التشاكل والتوافق بينهما.
- اِختلف النقّاد حول قضيّة الشكل والمضمون، فمنهم من يرى أنّ الشكل ينفصل عن المضمون، ومنهم من يرى أنّهما مرتبطان ببعضهما البعض، وأنّ كلاهما مكمّل للآخر.
- تفضيل الجاحظ الألفاظ على المعاني، وترجيح الشكل على المضمون.

وفي الأخير نأمل أن يكون عملنا هذا مفيدًا ولو بالقليل للطلبة بصفة خاصّة، وللمتطلّعين في هذا الميدان بصفة عامّة.

قائمة المصادر والمراجع

الكتب

أ. المصادر:

1. ابن رشيق القيرواني، العمدة في صناعة الشعر ونقده، تح: محمد الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، القاهرة، ط3، 1963.

2. ابن قتيبة، الشعر والشعراء، تح: أحمد محمد شاكر، ج1، دار الحديث، القاهرة، ط2، 1418هـ/ 1998م.

3. أبو الفرج قدامة بن جعفر، نقد الشعر، مطبعة الجوائب، قسنطينة، ط1، 1302م.

4. أبو عثمان بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، تح: عبد السلام محمد هارون، ج1، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1418هـ/ 1998م.

5. ـــــــــــــ، الحيوان، تح: عبد السلام محمد هارون، ج3، ط2، شركة ومطبعة البابي الخلي، مصر، 1385هـ/ 1965م.

6. ـــــــــــــ، رسائل الجاحظ، رسالة في النابتة، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ط، د. ت.

7. أبو هلال العسكري، الصناعتين، الكتابة والشعر، تح: مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1409هـ/ 1989.

8. الشريف الجرجاني، التعريفات، تح: محمد علي أبو العباس، مكتبة القرآن، عابدين، القاهرة، د. ت.

9. جلال الدين السيوطي، الأشباه والنظائر في النحو، تح: عبد العال سالم مكرم، مؤسّسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 1985م.

10. عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1413هـ/ 1992م.

11. محمد القزويني، تلخيص المفتاح، مكتبة البشرى، ط1، 1431هـ/ 2010م.

12. محمد بن أحمد بن طباطبا العلوي، عيار الشعر، تح: عباس عبد الساتر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1426هـ/ 2005.

ب. المراجع:

1. إبراهيم مذكور، في الفلسفة الإسلامية، ج2، دار المعارف، 1976م.

2. علي محمد حسن العماري، اللفظ والمعنى وأثرها في تدوين البلاغة العربية، دار أميرة للطباعة، ط1، جامعة الأزهر، القاهرة، مصر، 1420هـ1999م.

3. ابن المرتضى، المنية والأمل في كتاب شرح الملل والنحل، دائرة المعارف، 1316م.

4. أبو البقاء الكفوي، الكليات، تح: عدنان دويش ومحمد المصري، مؤسّسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط2، 1993م.

5. إحسان عبّاس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط4، 1404هـ/ 1983م.

6. أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط29، 1975م.

7. أحمد مطلوب، أساليب البلاغة، الفصاحة، البلاغة، المعاني، جامعة بغداد، شارع فهد السالم، الكويت، ط1، 1979هـ/ 1980م.

8. الأخضر الجمعي، اللفظ والمعنى في النقدي البلاغي عند العرب، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001.

9. جميل جبر، الجاحظ ومجتمع عصره في بغداد، دار الكتب اللبناني، مكتبة المدربة، بيروت، د. ط، 1959.

10. جورجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، د. ت، 1983م.

11. حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، ط2، 1953م.

12. زهي حسين جار الله، المعتزلة، ط1، بيروت، القاهرة، 1974.

13. شوقي ضيف، البلاغة والتطوّر والتاريخ، دار المعارف، ط9، د. ت.

14. ـــــــــــ، في النقد الأدبي، دار المعارف، القاهرة، ط9، د. ت.

15. عبد المنعم خفاجي، أبو عثمان الجاحظ، دار الكتاب اللبناني، بيروت، د. ط، 1959.

16. فريد عوض حيدر، علم الدلالة دراسة نقدية وتطبيقية، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2005م.

17. فوزي السيد عبد ربه، المقاييس البلاغية عند الجاحظ، مكتبة الأنجلومصرية، القاهرة، د. ط، 2005م.

18. قصي الحسن، النقد الأدبي عند العرب واليونان، معالمه وأعلامه، المؤسّسة الحديثة للكتابة، طرابلس، لبنان، ط1، 2003م.

19. كاظم حطيط، دراسات في الأدب العربي البيئة العباسية: الجاحظ، اِبن الرومي، المتنبّي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1977م.

20. محمد زغلول، تاريخ النقد الأدبي والبلاغة، منشأ المعارف، الإسكندرية، ط2، 1982م.

21. محمد مندور، في الميزان الجديد، مؤسّسة هنداوي، القاهرة، 1973م.

22. ميخائيل نعيمة، الغربال، مؤسّسة نوفل، بيروت، لبنان، ط2، 1978م.

ت. المجلّات:

1. محمد جمعة نوارج "الشكل الأدبي من منظور النقد الأدبي الحديث نظريًّا وتطبيقيًّا"، مجلّة جامعة الأزهر للدراسات الإسلامية.

فهرست

الموضوعات

المحتوى	الصفحة
شكر وعرفان	...
إهداء	...
مقدّمة	**(أ–ب)**
الفصل الأوّل:	
الشكل والمضمون عند النقاد العرب	
1. قضية الشكل والمضمون	**(7–5)**
أ. الشكل	**(8–7)**
ب. المضمون	**(9–8)**
2. الشكل والمضمون عند النقاد والعرب قديمًا	**(16–9)**
3. الشكل والمضمون عند النقاد العرب حديثًا	**(18–16)**
4. طبيعة الفصل بين الشكل والمضمون	**(20–19)**
5. علاقة الشكل بالمضمون	**(22–20)**
الفصل الثاني:	
قضية الشكل والمضمون عند "الجاحظ"	
1. نبذة عن المؤلّف	**(27–25)**
2. مفهوم الشكل والمضمون عند "الجاحظ"	**(27)**
أ. الشكل عند الجاحظ	**(28–27)**
ب. المضمون عند الجاحظ	**(29–28)**

3. قضية الشكل والمضمون عند "الجاحظ"	**(30-29)**
1.3. موقف "الجاحظ" من قضية الشكل والمضمون	**(31-30)**
2.3. تطابق الشكل والمضمون عند "الجاحظ"	**(33-31)**
4. نموذج الشكل والمضمون عند "الجاحظ"	**(33)**
أ. نموذج الشكل	**(33)**
ب. نموذج المضمون	**(34)**
5. علاقة الشكل والمضمون بفكرة "المقام والمقال"	**(36-35)**
6. الشكل والمضمون عند المعتزلة	**(36)**
1.6. تعريف المعتزلة	**(37-36)**
2.6. المذهب الإعتزالي	**(39-38)**
3.6. النظم عند "الجاحظ"	**(40-39)**
خاتمة	**(42)**
قائمة المصادر والمراجع	**(46-44)**
فهرس الموضوعات	**(49-48)**

ملخص:

هدفت هذه الدراسة إلى معالجة مشكلة الشكل والمضمون في البلاغة، تمّ تقسيم مجال الدراسة إلى جزأين؛ تناولنا في الجزء الأوّل آراء نقّاد البلاغة القدامى حول هذه القضيّة، وناقشنا ملاحظاتهم النقدية، ثمّ توقّفنا عند النقّاد العرب المحدثين الذين أغلقوا ما يسمّى القديم لهذه القضية وإستبدلوه بالشكل والمضمون، ووضّحنا تقدّمهم ووَعيهم النقدي فيما يخصّ البلاغة وضرورة تجاوز الضعف والتعقيد.

عرضنا آراء "الجاحظ" وموقفه البلاغي في هذه المسألة، وبين مدى إنتصاره للشكل دون الإستغناء عن دور المضمون في العملية البلاغية، ووصوله إلى دمج هذين الطرفين في نظريته النظم ودراستها على أنّها روح العملية البلاغية.

الكلمات المفتاحية: الشكل، المضمزن، البلاغة، الجاحظ.

Abstract:

Cette étude visait a aborder le problème de la forme et du contenu dans la rhétorique, le champ d'étende a été divis » en trois parties: Dans la première partie nous avons traité des points de vue des anciens critiques de la rhétorique sur cette question et discuter de leurs observations critiques, puis il s'est arrêté avec les critique Arabes moderne qui fermaient ce qu'on appelle l'ancien pour ce problème et le remplaçaient par la forme et le fond, et expliquaient leur progrès et leur conscience critique vis-à-vis de la rhétorique et la nécessité de surmonter la faiblesse et la complicité.

Nous avons présenter les vues d'Al-jahid et sa position rhétorique sur cette question, et montré l'étendue de sa victoire pour la forme sans s'affranchir du contenu dans le processus rhétorique et son arrivée a intégrer ces deux parties dans sa théorie de système et l'étudier comme l'esprit du processus rhétorique

Mots clés : la forme-le contenu- la rhétorique- Al-jahid.